

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أدب مقارن



عناصر ألمانية

الأدب العزني الحديث

للدكتور عمر الطيب الساسي

تمهيد :

تربط الألمان بالعرب والمسلمين علاقات تاريخية قديمة ، ترجع بدايتها الأولى الى عهد أكبر حاكمين شهدهما كل من التاريخ العربي الإسلامي ، والألماني المسيحي ، وهما هارون الرشيد الخليفة العربي العباسي المسلم ، وشارلمان القيصر الجرمانى المسيحي الذى يعرف عند الألمان باسم كارل الأكبر Karl der Grosse وهو الذى حكم أعظم امبراطورية جرمانية - مسيحية فرضت سيطرتها على أكبر رقعة جغرافية من أوروبا فى العصور الوسطى : وهناك روايات كثيرة تؤكد قيام روابط صداقة وتبادل سفارات وهدايا بين هارون الرشيد وشارلمان - أو كارل الأكبر ، كما يسميه الألمان - كذلك تؤكد روايات أخرى كثيرة علاقات صداقة وتبادل سفارات وهدايا بين ملوك وقباصرة الجرمان فى العصور الوسطى ، وبين أمراء وملوك بنى أمية فى الأندلس الإسلامية ، فى المغرب العربى والإسلامي ..

وفى أثناء الحروب الصليبية ، تعرف الفرسان الجرمان عن كتب على العرب المسلمين ، وأعجبوا بكثير من مظاهر حضارتهم ، وبخاصة الأدب ، الذى نقلوا بعض أجناسه الى اللغة الألمانية ، التى أثبتت دراسات الأدب المقارن الحديثة ، ان القصة الشعبية فيها ترجع أصول كثير منها الى مصادر شرقية ، وعربية على وجه الخصوص (١) .. وحتى الشعر الجرمانى فى العصر الوسيط أثبتت دراسات الأدب

1. J. Botte u. G. Polivka, Anmerkungen den zu den Kinder — und Hausmaerchen. G. Olms - Verlag, Hildesheim, 1963;

وكذلك

Chauvin, Bibliographie des Ouvrages Arabes, Les Mille et Une Nuits, Liege u. Leigzig 1900.

المقارن أخيرا تأثره بالشعر العربي خصوصا فى جنسى : شعر الفروسية Ritterdichtung

وشعر الغرام Minnesang (٢) أما بعد ذلك فان بصمات التأثير العربى فى

الأدب الألمانى كثيرة منذ عصر الباروك der deutsche Barock

وهو الذى بدأت فيه نهضة الأدب الألمانى الحديث ، وتبدو هذه التأثيرات العربية

أشد وضوحا فى عصر الكلاسيكية الألمانية المتألفة ، وخصوصا فى نتاج أعظم شعرائها

الألمان يوهان فولف جانج فون جوتة Johann Wolfgang Von Goethe

واستمر اعجاب أدباء الألمان وتأثرهم بالأدب العربى القديم

بعد عهد جوتة ، فكان الرومانسيون الألمان من أشد أدباء أوروبا هياما بالشرق وتأثرا

بأدبه ، خصوصا بعد أن كانوا هم أول من كشف عن أن أصل كثير من القصص الشعبى

الألمانى ترجع أصوله الى مصادر شرقية ، وعربية من ألف ليلة وليلة بصفة خاصة ،

كما حدث بالنسبة للاخوان جريم Brueder Grimm

عندما اكتشفا ان كثيرا مما فرحا بجمعه على أنه قصص شعبى ألمانى ، ينحدر من

أصول عربية ، تسربت الى ألمانيا فى أيام الحروب الصليبية وربما قبلها (٣) .

وعندما اتصل العرب بأوروبا فى العصر الحديث ، عبر فرنسا ولغتها

التي كانت البوابة التي دلجوا منها الى الثقافة والحضارة الأوروبية الحديثة ،

قرأوا فى جملة ماقرأوا نماذج كثيرة من روائع الأدب الألمانى ، التي سبق أن ترجمت

من قبل الى اللغة الفرنسية ٠٠ فكان أهم ما شدهم الى الادب الألمانى ، أنه كان يشيد

فى كثير من نماذجه القوية بالتراث العربى والاسلامى : (على سبيل المثال فقط) ٠٠

نذكر هنا « الديوان الشرقى - الغربى لشاعر الألمان العظيم جوتة وأنشودة محمد

(صلى الله عليه وسلم) لجوته أيضا ، فدفعهم هذا الى الاقبال على كل ما استطاعوا

العثور عليه من هذا الأدب الألمانى مترجما الى الفرنسية التي كانت أول ما تعلموه من

لغات أوروبا فى العصر الحديث ، مستمتعين بهذا الادب لما فيه من قوة وأصالته

تجاوبت مع عواطفهم وشعورهم وظروف بلادهم من جهة ، ولما يمتاز به هذا الأدب

الألمانى من اشادة بالشرق العربى والاسلامى من جهة اخرى (٤) . فكانت هذه ، هي

بداية اتصال العرب فى العصر الحديث بالأدب الألمانى - وهذا ماسوف ن فصل

القول فيه فى بحثنا هذا .

(٢) انظر : أتوشبيس فى مقال : بصمات شرقية فى الادب الوسيط ، مجلة (فكرو فن) العربية

يصدرها : ألبرت تايلر وأنا مارى شميل ، العدد رقم ١١ السنة السادسة ، هامبورج ١٩٦٨ م .

(٣) انظر فى المرجع الذى سبقت الاشارة اليه من تأليفهما .

(٤) صدرت مؤلفات عربية بحث مؤلفوها فيها فى صورة الشرق الاسلامى فى الادب الألمانى ،

من ذلك : عبدالرحمن صدقى ، الشرق والاسلام فى أدب جوتة ، كتاب الهلال عدد ١٩٥ لشهر صفر

١٣٨٧ هـ - يونيه ١٩٦٧ م ٠٠ كذلك : صديق شيبوب ، جوتة ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٤٥م

والطبعة الثانية فى سلسلة (اقرأ) عن دار المعارف بمصر كتاب رقم ٣٥ ، بدون ذكر سنة

الصدور .

العرب وأوروبا فى العصر الحديث :

فى اللحظة التى رست فيها بواخـر نابليون على شواطئ الاسكندرية فى أواخر القرن الثامن عشر ، ومطلع القرن التاسع عشر الميلادى ، بدأ اتصال العرب ، بل انفتاحهم الحقيقى على الحضارة الأوروبية الحديثة بكل مظاهرها وفروعها لقد صحا المشرق العربى ، ممثلا فى زعيمته الكبرى مصر ، فى تلك اللحظات من أواخر القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر ، من سبات عميق ، ليجد امامه عالما متحضرا سبقه كثيرا بعد أن تخلف هو فى عصور الظلام والانحطاط ٠٠ فعرف النابليون من أبناء مصر فى تلك الفترة أن ليس عليهم أن يستيقظوا وينهضوا فقط ، بل وأن يحثوا الخطى ، للخروج مما كانوا فيه من تخلف وتقهقر ٠٠ ولم يجدوا فى دينهم السماح مايمنعهم من أخذ كثير من أسباب الحضارة الحديثة من الغرب ، من أوروبا ، مادام ذلك لايتعارض مع العقيدة والمثل والمبادئ الأساسية العليا ٠٠ فقام والى مصر ، محمد على ، رحمه الله ، بتأسيس مصر الحديثة ٠ ولأنه كان يرى أن الأخذ فى أسباب النهوض والتطور لا يتم الى بمعرفة العلوم العصرية ، اتصل ، رحمه الله ، ببعض علماء فرنسا المتعاطفين مع مصر ، ومنهم الاستاجو مار Jomard وهو من نوابغ الفرنسيين ومن كبار مهندسيهم ، وكان من علماء الحملة الفرنسية التى قدمت الى مصر مع نابليون واشترك فى تأليف كتابها النفيس : (وصف مصر) ، وله فيه مباحث واسعة وأثره فيه أقامته فى مصر فلم ينسها ، وكان يرغب فى أن يذيع ثقافة بلاده فى وادى النيل ، ولما عرف فيه محمد على ذلك وكل إليه أمر الاشراف على أول بعثة علمية يرسلها الى فرنسا لتلقى علومها العصرية على ايدى علمائها ، ٠ وقد أخلص جومار فى ذلك اخلاصا استحق عليه ان يرسل محمد على رسالة شكر يقول فيها :

« شكرا لك يا صديق مصر العامل بجد واخلاص لنقعتها ، حتى كأنك نبراس رغباتى فى تمدين البلاد التى جعلني الله على رأسها ، ان لم تنقطع عن اظهار ولائك بأدلة قاطعة ، وهى تلك الجهود العظيمة التى تعانيتها فى مراقبتك التلاميذ الذين ارسلتهم الى وطنك » (٦) ٠ أرسل محمد على بعثات متتالية الى فرنسا لتتزوّد بعلومها العصرية الحديثة ، حتى تتوفر للبلاد كفاءات وطنية على مستوى رفيع من العلم والخبرة ٠ فتكونت أول بعثة من أربعين طالبا ، اختير لهم عالم ازهرى جليل ليكون واعظا واماما لتلك البعثة ، وهو الشيخ رفاعة رافع الطهطاوى ، رحمه الله ، مؤسس مدرسة الترجمة الحديثة فى العالم العربى ، وأول من وصف أوروبا

(٥) و (٦) د أحمد بدوى ، رفاعة الطهطاوى القاهرة ١٩٥٠ م ، ص ٢٠ ، و : عمر طوسون ، البعثات العلمية فى عهد محمد على ثم فى عهدى عباس الاول وسعيد ، مطبعة صلاح الدين بالاسكندرية ١٩٣٤ م ٠

الحديثه وصفا دقيقا شاملا من خلال احدى عواصمها الكبرى (باريس) وذلك فى كتابه « تخليص الابريز الى تلخيص باريز » ثم تتابعت البعثات الى اوربوا فى عهد محمد على ، وبعده ، من مصر اولاً ، ثم بعدها بكثير من أقطار عربية أخرى ٠٠ وكان من بين المبتعثين الى فرنسا فى كثير من الاحيان ، أدباء كانوا متعطشين للأدب ، ولم يكتفوا بتلقى العلم على ايدي العلماء الذين خصصوا لهم ، أو فى الجامعات التى أوفدوا اليها ، بل أقبلوا على القراءة ، يتلقفون كل كتاب أدبى بنهم ، سواء كان لكاتب فرنسى أو مترجماً الى الفرنسية من لغات أوربية أخرى ، وبهذا كانت فرنسا ولغتها البوابة التى عبر منها الأدباء العرب الى كل الآداب الأوروبية الأخرى وكان من أشهر الأدباء اعضاء البعثات العلمية فى فرنسا فى مطلع هذا القرن الميلادى العشرين : طه حسين ، ومحمد حسين هيكل ، وأحمد حسن الزيات ، وقوفيق الحكيم ، ومحمد عوض محمد ٠٠ والى جانب اقبال أولئك الأدباء المبتعثين الى أوربوا على القراءة ، اتاحت لهم الفرصة ليطلعوا لأول مرة على ميدان جديد من ميادين الأدب بالنسبة لهم ، وهو المسرح ، الذى يعتبر الشيخ رفاعة الطهطاوى ، رحمه الله ، أول من وصفه من العرب فى العصر الحديث حيث قال عنه فى كتاب « تخليص الابريز الى تلخيص باريز » : (علم أن هؤلاء الخلق حيث انهم بعد أشغالهم المعتادة المعاشية ، لا شغل لهم بأمور الطاعات فانهم يقضون حياتهم فى الأمور الدنيوية واللهو واللعب ، ويتفنونون فى ذلك تفنناً عجيباً ، فمن مجالس الملاهي عندهم محال تسمى التياتر (Le théâtre) بكسر التاء المشددة ، وسكون التاء الثانية ، والسبكتا كل (Le spectacle) وهى يلعب فيها تقليد سائر مايقع ٠٠ وفى الحقيقة أن هذه الألعاب هي جد فى صورة هزل ، فان الانسان يأخذ منها عبثاً عجيبة ، وذلك لأنه يرى فيها سائر الأعمال الصالحة والسيسة ، ومدح الأولى وذم الثانية ، حتى ان الفرنسيات يقولون : انها تؤدب أخلاق الانسان وتهذبها ، فهى وان كانت مشتملة على المضحكات ، فكم فيها من المبكيات ٠٠ ومن المكتوب على الستارة التى ترخى بعد فراغ اللعب باللغة اللاتينية مامعناه باللغة العربية : « قد تصلح العوائد باللعب » (٧) وقرأ المبتعثون العرب منذ البعثة الأولى كتباً لمشاهير أدباء فرنسا ، وأوربوا ، فقد قرأ رفاعة وترجم أعمالاً لفولتير ، ولافونتين (٨) ٠٠ وقرأ كتاباً اغريقية وترجم بعضها ولم يذكر كتباً المانية ، الا أننا لانستبعد أن زملاءه ، أو اعضاء البعثات التالية قرأوا كتباً المانية فى اللغة الفرنسية .

الطريق الى الأدب الألماني :

ان تعلم العرب اللغة الفرنسية واجادتهم لها ، أتاح لهم فرص الاطلاع الواسع

(٧) د . أحمد أحمد بدوى ، رفاعة الطهطاوى ص ١٣٥ و : رفاعة الطهطاوى ، تخليص باريز ، بولاق سنة ١٢٦٥ هـ ، ص ٩٥ .

(٨) د . أحمد أحمد بدوى ، رفاعة الطهطاوى ص ١٩٧ ، ١٩٨

على كل ماترجم الى هذه اللغة من آداب اللغات الأوروبية الأخرى .

رغم الصراع العسكرى الدامى الذى كان طابع العلاقات الفرنسية . الألمانية فى تلك القرون ، فقد اهتم الأدباء الفلاسفة الفرنسيون بالأدب الألمانى والفلسفة الألمانية فنقلت معظم الأعمال الأدبية والفلسفية الألمانية العظيمة مترجمة الى اللغة الفرنسية وتحمس بعض الأدباء الفرنسيين تحمسا عظيما للأدب الألمانى .

وكان من أشهر أولئك الأدبية الفرنسية الشهيرة ، مدام دى ستايل Mme. De Stael التى عاشت فيما بين عامي (١٧٦٦-١٨١٧م) (٩) وقد كانت شديدة الاعجاب بالألمانيا وأدبائها وخصوصا بالرومانسيين منهم ولفرط اعجابها بالألمانيا ألقت كتابا عنها بالفرنسية بعنوان « ألمانيا ” De l' Allemagn “ » كان سببا فى نفياها من قبل نابليون السى خارج فرنسا ، بعد أن أثارت غضبه لكتابها ذلك . وكان لها الفضل الأول فى تعريف الفرنسيين بالأدب الألمانى مع عنايتها خاصة ببيان وجوه الشبه والخلاف بينه وبين الأدب الفرنسى (١٠) . فما ان بدأ القرن التاسع عشر الميلادى ، حتى كانت معظم أعمال مشاهير الأدباء والفلاسفة الألمان قد ترجمت الى اللغة الفرنسية . وإذا عرفنا أن بداية توافد البعثات العلمية من مصر على فرنسا كانت فى القرن التاسع عشر ، وأن أعضاء تلك البعثات كانوا يقرأون بنهم كل ما له صلة بالأدب والفكر ، الى جانب اجتهدهم فى التحصيل العلمى الذى ابتعثوا من اجله ، جاز لنا أن نقول ان الطريق كانت ممهدة أمامهم للاتصال بالأدب الألمانى والاطلاع على بعض روائعه ، بوساطة اللغة الفرنسية . الا أن أقدم أثر أدبى ألمانى يرجع فى تاريخ ترجمته العربية الأولى من اللغة الفرنسية الى مطلع هذا القرن الميلادى العشرين وعلى التحديد الى سنة ١٩٢٠ م ، وهى السنة التى ظهرت فيها الترجمة العربية لرواية Die Leiden des jungen Werthers آلام فرتر « لشاعر الألمان العظيم جوته ، والتى نفذها أحمد حسن الزيات ، وقدم لها الدكتور طه حسين رحمه الله . ويعترف الزيات انه كان قد تأثر اشد التأثر بهذه الرواية ، وبحساسية بطلها ، وذلك فى الاهداء الذى كتبه الزيات الى ذات نفسه رامزا اليها بالحرفين الأولين من اسمه وهما « أ . ز » (١١) . كذلك أشاد طه حسين فى المقدمة التى كتبها لهذه الرواية بكتابتها والأدب الألمانى وبالرواية التى تشبه ظروفها ظروف الشباب العربى المعاصر له كما يقول (١٢) . وبعد ترجمة الزيات لآلام فرتر بسنوات ، ظهرت ترجمة عربية لعمل أدبى ألمانى آخر هام ، هو من أهم أعمال شاعر الألمان وفيلسوفهم العظيم جوته ، وكانت تلك هى ترجمة الدكتور محمد عوض محمد لأشهر دراما ألمانية «مأساة فاوست Faust »

(٩) د . محمد غنيمي هلال . الأدب المقارن الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٦٢ م ، ص ٤٤ ، ٤٥

— ٤٦ ، ٤٧ .

10) Ulrich Weisstein, Einführung in die Vergleichende Literaturwissenschaft, Kolhammer - Verlag, Stuttgart 1968, S. 23f, 139, 204 .

(١١) ، (١٢) أحمد حسن الزيات ، آلام فرتر ، القاهرة ١٩٢٠ ، ص ، الاهداء ، طه حسين فى :

مقدمة هذا الكتاب .

فقد ترجم الجزء الأول منها، وقدم فى نهايته ملخصا اجماليا للفصل الثانى ٠٠ وكتب الدكتور طه حسين مقدمة هذه الترجمة، مشيدا بجوته وأدبه مما يدل على تأثره هو أيضا به، وقد أعيد طبع هذه الترجمة خمس مرات كان آخرها فى سنة ١٩٧١ م، ومما قاله طه حسين فى مقدمتها عن الشاعر الألماني العظيم جوته مانصه : « وقد كان جوته رجلا عظيما، فرضت عظمته على الإنسانية العاقلة الحساسة أن تحبه وتسعى اليه وتجد فى فهمه والوصول الى دخيلة نفسه والظهور على عظمته وسر تفوقه » (١٣) ويختتم طه حسين مقدمته تلك بقول مأثور عن مدام دى ستايل الفرنسية، المعجبة بالأدب الألماني، وناقلة روائعه الى الفرنسية ونصه : « ان هذه القصة تضطرك الى أن تفكر فى كل شيء والى أن تفكر فى أمر آخر فوق كل شيء » ولعل فى هذا إشارة من طه حسين الى أنه اطلع مع غيره من المبعوثين العرب الى فرنسا على ما نقلته الى الفرنسية من روائع الأدب الألماني مدام دى ستايل، كما يمكن أن يكون مفتاحا للبحث عن الآثار والتأثيرات الألمانية فى نتاج طه حسين الأدبى، خصوصا فى مجال القصة، والايام التي تذكر بيوميات الشاعر الألماني الكبير هردير J. G. Herder الذى عاش فيما بين عامى ١٧٤٤ و ١٨٠٣ م وكان فيلسوفا من فلاسفة عصر التنوير، وصديقا وأستاذا للشاعر العظيم جوته، ولعل هذا هو سر قيام الدكتور طه حسين رحمه الله بكتابة كل مقدمات أقدم ما ترجم لجوته فى اللغة العربية ٠٠ فقد كتب كذلك مقدمة ترجمة الدكتور محمد عوض محمد لرواية « هيرمن ودوروثيه » (Hermann u. Dorothea) التى صدرت فى سنة ١٣٦٨ هـ - ١٩٤٩ م، والتى سماها طه حسين لغرط اعجابه بها « آية » ٠٠ كما يؤكد طه حسين فى هذه المقدمة اعجاب القراء العرب بجوته، بدليل اقبالهم الشديد على قراءة آثاره المترجمة .

وبعد مرور ثلاثين سنة على صدور أول ترجمة عربية لرواية جوته الألمانية « الام فرتر »، ظهرت فى حلب بسوريا ترجمة أخرى لهذه الرواية، عن اللغة الفرنسية ايضا، نفذها فى سنة ١٩٥٠ م نخلة ورد، وكتب مقدمتها الدكتور محمد يحي الهاشمى، وأعيد طبعها ثانية فى سنة ١٩٥٥ م ٠ (١٤) ولكن هذه الترجمة السورية - فى نظرى - أقل مستوى من ناحية الدقة والأسلوب من الترجمة المصرية للزيات .

ولم يكن جوته وحده الذى تعرف عليه القراء العرب من بين شعراء الكلاسيكية العظام فى المانيا، من خلال ما ترجم من آثاره على اللغة العربية، إذ أن هنالك ترجمة لمسرحية شهيرة كتبها صديق جوته وزميله فى التربع على عرش الكلاسيكية فى الأدب الألماني وهو الشاعر الألماني المتبرع « فريدريش شلر » (Friedrich Schiller)

(١٣) د. طه حسين فى مقدمة فاوست، ترجمة د. محمد عوض محمد، الطبعة الخامسة، القاهرة ١٩٧١ م، ص ١٠ - و ص ١٦ .
(١٤) نخلة ورد، الام فرتر للشاعر الألماني « جوته »، نشر مكتبة ربيع بجلب، الطبعة الثانية، ١٩٥٥ م

وترجمها سمير عبده ، ولكنها نقلت هذه المرة عن الانجليزية ، كما يشير المترجم الى ذلك صراحة ، وصدرت عن دار الحياة في بيروت ، دون ذكر لسنة الصدور (١٥) .

وهناك ترجمات ودراسات أخرى متفرقة كثيرة لأعمال أدبية ألمانية ، ظهرت في اللغة العربية في صحف ومجلات مختلفة ، من أشهرها مجلة « العربي » التي تصدر في الكويت ، ولعل أحدث مظهر من ترجمة لأعمال أدبية ألمانية في العربية كتاب مطالعة تعليمي ضم مجموعة مختارة من نصوص أدبية ألمانية تنتمي الى عصور ومذاهب مختلفة مع ترجمة لأصحابها ، نقله الى العربية الدكتور مصطفى ماهر ، وصدر عن دار صادر في بيروت في سنة ١٩٧٠ م بعنوان : « صفحات

“ Ein deutsches Lesbuch, Jengnisse engagierter Literatur, Vom Mittelalter bis zur Gegenwart ” جمع تلك النصوص واختارها “ Wolfgang Langenbucher ” وشرحها وعلق عليها Harro Hilzinger “ هذه هي أشهر المترجمات المعروفة في العربية لأعمال أدبية ألمانية ٠٠ والى جانب هذا اهتم العرب في العصر الحديث بمؤلفات المستشرقين الألمان ، وفي مقدمتها « تاريخ الأدب العربي لبروكلمان » و « دائرة المعارف الاسلامية » وغيرها من كتب المستشرقين الألمان التي يكاد لا يوجد مثقف عربي في مجال الدراسات العربية والاسلامية لا يعرفها ، أو لم يسمع بها على الأقل ٠٠ وأحدث ما ترجم من كتب المستشرقين الألمان الى اللغة العربية هو كتاب

“ Allah's Sonne ueber dem Abendland ” ومعنى هذا العنوان في العربية : « شمس الله على الغرب » الا ان كمال دسوقي وفاروق بيضون حرفاه في الترجمة العربية الى : « شمس العرب تسطع على الغرب » وقد سألت الدكتور كمال الدسوقي في محادثه شخصية خاصة لي معه حول سبب ذلك ، فلم يذكر لي سببا معينا ٠٠ وقد صدر هذا الكتاب عن المكتب التجاري للطباعة والنشر في بيروت في سنة ١٩٦٤ م ، وهو يبحث في الحضارة الاسلامية العربية ويشيد بها في كل ميادينها وفروعها ، والأدب من بينها بطبيعة الحال ٠٠ كذلك ترجمت الى العربية كتب ألمانية أخرى بحثت في بعض مظاهر الحضارة الاسلامية وفروعها ، منها على سبيل المثال كتاب

“ Die Kunst des Islam ” الذي ترجمه الى العربية الدكتور احمد موسى بعنوان : « الفن الاسلامي » وصدر عن دار صادر في بيروت في سنة ١٩٦٦ م ، وهو من تأليف عالم الفن والآثار الألماني ارنست كونييل Ernst Kuehnel

هل في الأدب العربي الحديث آثار ألمانية ؟

ان الترجمة والنقل مرحلة تاريخية هامة من مراحل الاتصال بين آداب اللغات

(١٥) سمير عبده ، اللصوص - مسرحية فريدريك شلر ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، سنة الصدور غير معروفة .

المختلفة ، لابد أن تعقبها مراحل أخرى أكثر أهمية ، مثل التقليد والمحاكاة ، والذوبان والتأقلم ، إذا كان العمل المترجم قوياً أصيلاً ، متجاوباً مع ظروف الأمة التي انتقل إليها والارهاصات التاريخية والاجتماعية والنفسية العامة في العصر الذي انتقل فيه هذا العمل المترجم ، فسرعان ما يتجاوب مع عواطف بعض أدياء الأمة المنقول إليها فيؤثر فيهم ، ثم يظهر تأثيره في صور من المحاكاة ، اما المقصودة ، أو العفوية .

ومعلوم أن الجنس الأدبي الذي اهتم المترجمون بنقله من الألمانية الى العربية بوساطة اللغة الفرنسية ، كان جنس القصة اما المباشرة مثل : « آلام فرتر » و « هيرمان ودورتيه » لجوته أو المسرحية « الدراما » مثل « فاوست » لجوته ، و « اللصوص » لشلر مترجمة عن الانجليزية . وإذا عدنا بالذاكرة الى بداية ظهور جنس القصة الحديثة في الأدب العربي الحديث ، فاننا سوف نذكر رواية « زينب » للدكتور محمد حسين هيكل ، و « الأيام » في الترجمة الذاتية للدكتور طه حسين ، رحمهما الله . و « زينب » و « الأيام » تنتميان الى مذهب الواقعية القروية الساذجة . فهما تمثلان حياة الريف المصري ، وخروج ابن الريف الى المدينة . هذا الى جانب كون « زينب » رواية اجتماعية تمثل بعض مشاكل المجتمع المتصلة بالشباب والفتيات والوسائل التي كان يجري بها الربط بين الشباب والفتاة برباط الزوجية .

ولو عدنا بالذاكرة الى الأدب الأوربي لوجدنا ان القصة الواقعة من هذا النوع كانت قد نشأت في اللغة الألمانية ، ومن أبرز أعلامها تيودور فونتان Theodr Storm و تيودور شتورم Thedor Fontane وجو تفريد كلر Gottfried Keller ولتيودور فونتان رواية بعنوان « ايفي بريست Effi Briest » وهو اسم فتاة ألمانية تشبه « زينب » التي كتب هيكل روايته حولها . وهي تشبه في كثير من أحداثها ، بل وبعض وقائعها رواية زينب فكما تم اختيار زينب بدون اخذ رأيها زوجة لانسان يكبرها بكثير ، تم اختيار ايفي بريست لزوج يكبرها بكثير بدون أن يكن لها رأى في ذلك .

وما حدث بين زينب وزوجها من تنافر ، حدث بين ايفي وزوجها .

كذلك مشاهد القرية والريف في « زينب » لها ما يقابلها في « ايفي بريست » وقد اشار الى هذا التشابه المستشرق البريطاني « سير هاميلتن حب Sir Hamilton A. R. Gibb » كما ذكر ذلك صبرى حافظ في مقال له تحت عنوان « اتجاهات الرواية المصرية بعد الثورة » منشور في مجلة « المجلة » السنة التاسعة ، العدد ١٠٣ - ص ١١١-١١٢ .

الا أن كتاب حب بعنوان : (Studies on th Civilization of Islam) المترجم الى العربية في بيروت بعنوان « دراسات في حضارة الاسلام » لا يحمل هذه الإشارة ، لكن ناجي نجيب يقول في مقال له حول هذا الموضوع في مجلة « فكر وفن » العدد رقم ١٥ من السنة الثامنة ١٩٧٠ (ص ٤٨) ان هذه الإشارة ترجع الى مراسلات بين المستشرق الألماني رودى باريت Rudi Parit وزميله البريطاني

جب ٠٠ ومعلوم ان « زينب » فى رواية هيكل فتاة قروية جميلة ساذجة تعمل فلاحه فى ضيعة السيد محمود والد حامد بأجـريومى ، وان حامد يقع فى غرامها ، غير انه يتحول عنها ، لموانع اجتماعية طبقية ، الى فتاة محجبة من طبقته ، بينما تقع زينب فى حب ابراهيم المشرف على العمال فى الضيعة ثم ترغم « زينب » ارغاما على الزواج من حسن ، وهو ابن مزارع يكبرها سننا ، ويعترف هيكل فى مقدمة « زينب » بأنه متأثر بجنس القصة النفسية « السكيولوجية » الفرنسية ، وهى لون من ألوان القصة الواقعية .

ورغم عدم وجود دليل قاطع على تأثر هيكل بالرواية الألمانية الواقعية ، الا أن هذا لا يمنع احتمال اطلاعه على بعض تلك الروايات ، التى تشبه أفكارها أفكار روسو وفلوبير Flaubert فى « مدام بوفارى Madame Bovary »

أما طه حسين ، فان قيامه بكتابة مقدمات كل الترجمات العربية الأولى للأعمال الأدبية يسمح بوجود احتمال تأثره فى نتاجه الأدبى بأعمال أدبية المانية ، خصوصا فى « الايام » التى تذكر بكتب السير الذاتية الألمانية من جهة ، وبمشاهد القرية والريف فى الرواية الألمانية من جهة أخرى ، هذا الى جانب اشارة طه حسين فى مقدمته لرواية « هيرمان ودوريت » التى ترجمها محمد عوض محمد ، الى مدام دى شابل ، ناقلة الأدب الألمانى الى اللغة الفرنسية ، التى كانت وسيلة اتصال طه حسين ورفاق عصره من الأدباء العرب بالأدب الأوربية كلها فى العصر الحديث .



